﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النِّساء: 123]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن ذكر مآل المؤمنين في الآية السَّابقة، وما هم فيه من الخير والخلود؛ ناسب في هذه الآية أن يذكر أنَّ هذا الوعد الكريم إنَّما يكون بالاستحقاق لا بالأمانيِّ، فقال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾؛ إذ كانوا يرون أنفسهم أنَّهم شعب الله المختار، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: 18]، فذكرهم هنا بقوله: ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾.

وما أشدّ التئام الآية بما سبق من الآيات المحذّرة منهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ [النِّساء: 44] إلى قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النِّساء: 45]، إشارة إلى أنَّ مقصود المنافقين من مشايعة أهل الكتاب ومتابعتهم إنَّما هو الولاية والنُّصرة، وأنّهم قد ضيَّعوا منيتهم، فاستنصروا بمَن لا نصرة له، وتركوا من ليست النُّصرة إلَّا له[1]، ثمّ قال هُنا: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّـهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾: المِيمُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ شَيْءٍ وَنَفَاذِ الْقَضَاءِ بِهِ، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَنَى لَهُ الْمَانِي، أَيْ: قَدَّرَ الْمُقَدِّرُ[2]، وامتنيتُ الشّيء: اختلقته، والمَنَى: القصد، وتَمَنَّى الشَّيءَ: أرادَه، ومَنَاه إيَّاه وبه: وهي المُنْيَة، وتمنَّى الكتاب: قرأه، وكتبه، وفي التَّنزيل: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: قرأ، وتلا، وقال الشَّاعر:

تَمَنَّى كتابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِه *** وآخِرَه لاقَى حِمامَ المَقادِرِ[3]

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/411.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (منى).

(3) الزّجّاجيّ، الأمالي: 1/20، والبيت من الكامل، أنشده في اللّسان والمقاييس: (منى)، وسيرة ابن هشام، ص: 370، من دون نسبة، وهو لحسّان بن ثابت في تفسير أبي حيان: 6/382، وليس في ديوانه.

وأنا راضٍ بِمَنَى اللّه: بقدره، وتقول: ساقه المَنَى إلى دَرْكِ المُنَى[1]، والتَمَنِّي: تَشَهِّي حصول الأمر المرغوب فيه، والأُمْنِيَّةُ: الصُّورة الحاصلة في النَّفس من تمنّي الشَّيء، وتَمَنَّى: كَذَب، وَتَمَنَّى الحديثَ: اخترعه[2]، ولمّا كان الكذِبُ تصوُّرَ ما لا حقيقةَ له وإيراده باللّفظ؛ صار التَّمنِّي كالمبدأ للكذب، فصحَّ أن يُعبّر عن الكذب بالتَّمنِّي[3].

2) ﴿سُوٓءَا﴾: جذر الكلمة هو: (سوأ)، والسُّوء نعت لكلِّ شيء رديء، والسُّوء: اسم جامعٌ للآفات والدَّاء، وتقول: ساء ما فعل فلان صنيعًا يسوء، أي: قَبُح صنيعُه صنيعًا، والسَّيِّئ والسَّيِّئة: عملان قبيحان، يصير السّيِّئ نعتًا للذَّكَر من الأعمال، والسَّيِّئة للأنثى[4]، وساءَهُ ضدُّ سَرَّه، وقُرئ: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ [الفتح: 6] بالضَّمِّ[5]، أي: الهزيمة والشَّرُّ، وقُرئ بالفتح[6] من المَساءةِ[7].

والمفتوح غَلَب في أن يضاف إليه ما يراد ذمُّه، وأمَّا (السُّوء) بالضَّمِّ؛ فجارٍ مجرى الشَّرِّ الَّذي هو نقيض الخير[8].

3) ﴿يُجۡزَ﴾: جذر الكلمة هو (جزي)، جزى يجزي جزاء، أي: كافأ بالإحسان وبالإساءة، وتَجازيتُ ديني: تقاضيته[9]، واللّه يجزيك عنِّي، ويجازيك، قال لبيد[10]:

وإذا جُوزيت قرضًا فاجْزِه *** إنَّما يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الْجَمَلْ

ومنه جزية أهل الذِّمَّة؛ لأنَّها تقضي عنهم، يقال: أدُّوا جزيتهم وجزاهم[11]، ومن المجاز: جزتك الجوازي، أي: أفعالك، أي: وجدت جزاء ما فعلت، أو ألطاف اللّه وأسباب رحمته[12].

(1) الزّمخشري، أساس البلاغة: (مني).
(2) ابن سيده، المُحكم: (مني).
(3) الراغب، المفردات: 1/780.
(4) الخليل، العين: (سوأ).
(5) وهي قراءة الجمهور، ينظر: ابن الجزري، النَّشر: 2/280.
(6) وهي رواية شاذَّة، قرأ بها هارون عن أبي عمرو، ومجاهد والحسن، ينظر: ابن خالويه، المختصر: 142.
(7) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (سوأ).
(8) الزمخشري، الكشاف: 3/136.
(9) الخليل، العين: (جزي).
(10) البيت من بحر الرَّمل، وهو للبيد بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص: 123.
(11) الزّمخشري، أساس البلاغة: (جزي).
(12) الزّمخشري، أساس البلاغة: (جزي).

المعنى العامُّ للآية:

لمّا أخبر تعالى عمَّا أعدَّ للكافرين ولمن أضلَّهم من العقاب، وعمَّا أعدَّ للمؤمنين من الثَّواب، وكان الكافرون يمنُّون أنفسهم الأمانيَّ الفارغة من أنَّه لا تبعة عليهم في التَّلاعب بالدِّين، لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، ويشجِّعهم على ذلك أهل الكتاب، ويدَّعون أنَّهم أبناء اللّه وأحبَّاؤه، لا يؤاخذهم بشيء، ولا يدخل الجنَّة إلَّا من كان هودًا أو نصارى، أو من شفعوا فيه[1]؛ بيّن تعالى أنَّ هذا الوعد الكريم إنَّما يكون بالاستحقاق لا بالأمانيِّ، فقال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ثمَّ قرَّر الحقُّ في ذلك بصورة قاعدة عامّة، فقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾؛ لأنَّ الجزاء بحسب سنَّة اللّه تعالى أثر طبيعيٌّ للعمل، فإن كان سيِّئًا يصيب روح صاحبه، ويُكيِّفها بكيفيَّة سيِّئة تنال بها العقاب، فيعود عليه بالوبال والنّكال، من أيِّ ملَّة أو عنصر كان، ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، ولا يكون أحد وليًّا أو ناصرًا لأحد يوم القيامة غير اللّه تعالى، ولا تنفعهم ولاية أحد أو نصره يوم القيامة إلَّا ولاية اللّه ونصره[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الاستئناف الابتدائيّ:

للتَّنويه بفضائل الأعمال

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: "استئناف ابتدائيٌّ للتَّنويه بفضائل الأعمال، والتَّشويه بمساويها، وأنَّ في ﴿لَّيْسَ﴾ ضميرًا عائدًا على الجزاء المفهوم من قوله: ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾، أي: ليس الجزاء تابعًا لأمانيِّ النَّاس ومشتهاهم، بل هو أمر مقدَّر من اللّه تعالى تقديرًا بحسب الأعمال، وممَّا يؤيِّد أن يكون قوله:

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/410.
(2) الموصلّيّ، أولى ما قيل: 3/131.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ استئنافًا ابتدائيًّا: أنَّه وقع بعد تذييل مشعر بالنِّهاية، وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، وممَّا يرجِّحه: أنَّ في ذلك الاعتبار إبهامًا في الضَّمير، ثم بيانًا له بالجملة بعده، وهي: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، وأنَّ فيه تقديم جملة: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ عن موقعها الَّذي يُتَرَقَّبُ في آخر الكلام، فكان تقديمُها إظهارًا للاهتمام بها، وتهيئةً لإبهام الضَّمير، وهذه كلُّها خصائص من طرق الإعجاز في النَّظم"[1].

دلالة الباء في قوله: ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾:

دلالة الباء الملابسة

الباء في قوله: ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ للملابسة، أي: ليس الجزاء حاصلًا حصولًا على حسب أمانيِّكم، وليست هي الباء الَّتي تزاد في خبر ليس؛ لأنَّ أمانيَّ المخاطبين واقعة لا منفيَّة، والأمانيُّ موجودة لدى المُخاطبين، وقد تلبّست الأمانيُّ بهم، وأصبحت جزءًا من حيِّز حياتهم وتفكيرهم.

والأمانيُّ: جمع أمنيَّة، وهي اسم للتَّمنِّي، أي: تقديرُ غيرِ الواقعِ واقعًا، وكأنَّ ذكر المسلمين في الأمانيِّ لقصد التَّعميم في تفويض الأمور إلى ما حكم الله ووعد، وأنَّ ما كان خلاف ذلك لا يُعتدُّ به، وما وافقه هو الحقُّ، والمقصد المهمُّ هو قوله: ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، على نحو: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: 24]، فإنَّ اليهود كانوا في غرور: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: 80]، وقد سمّى الله تلك أمانيّ عند ذكره في قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: 111]، أمَّا المسلمون؛ فليس في عقيدتهم مثل ذلك[2].

دلالة الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾:

عدالة التَّشريع الإلهيّ

قال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، فذكر فئتين، وهو من قبيل طباق الشُّمول؛ إذ شمل بهذا الطِّباق النَّاس جميعًا، فعدل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/208.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/209.

عن التَّعبير: ليس بأمانيِّ أحدٍ ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾، إلى الفصل بذكر المُخاطبين من المؤمنين على الأرجح، والفئة الأخرى من أهل الكتاب.

وقال الزَّمخشريُّ في ﴿لَّيۡسَ﴾: ضمير وعد الله، أي: ليس ينال ما وعد الله من الثَّواب بأمانيِّكم ولا أمانيِّ أهل الكتاب، والخطاب للمسلمين؛ لأنَّه لا يتمنَّى وعد الله إلَّا من آمن به، ولذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان، وعن الحسن قال: إنَّ قومًا ألْهَتْهُم أمانيُّ المغفرة[1]، حتَّى خرجوا من الدُّنيا، ولا حسنة لهم، وقالوا: نُحسن الظَّنَّ بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظَّنَّ به؛ لأحسنوا العمل.

ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم: إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء؛ لنكونَنَّ خيرًا منهم وأحسن حالًا: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧﴾ [مريم: 77]، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [فصّلت: 50][2].

والرَّأي الَّذي نميل إليه: "أنَّ الآية الكريمة تخاطب النَّاس جميعًا، سواء أكانوا مؤمنين أم مشركين أم من أهل الكتاب؛ لأنَّ الآية الكريمة تضع لهم جميعًا قاعدة عامَّةً، وهي أنَّ الوصول إلى ثواب الله ورضاه لا يُنال بالأمانيِّ والأحلام، وإنَّما يُنال بالإيمان والعمل الصَّالح"[3].

السِّرُّ في حذف اسم ﴿لَّيۡسَ﴾:

تقوية الخبر المنفيّ، وأنَّ المدار على العمل

في حذف اسم ﴿لَّيۡسَ﴾ وإضمارِ ما يعود عليه إشارةٌ إلى أهمِّيَّة الخبر المنفيِّ، وهو عدم نفْع الأمانيِّ لأصحابها.

هذا، وقد وقع الاختلاف فيما يعود الضَّمير عليه: فمنهم من جعله عائدًا على الوعد بدخول الجنَّة، أي: ليس دخول الجنّة بأمانيِّكم، أو يعود على الإيمان المفهوم من قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النِّساء: 122][4]، كما ذهب إليه الحسن، أو يعود على ما وقعت فيه محاورة المؤمنين وأهل الكتاب، أو ما قالته قريش وأهل الكتاب، وقال الحوفيُّ: اسم ﴿لَّيۡسَ﴾ مضمر فيها

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 1/600.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/75.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 3/320.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/75.

على معنى: ليس الثَّواب عن الحسنات ولا العقاب على السَّيِّئات بأمانيِّكم؛ لأنَّ الاستحقاق إنَّما يكون بالعمل، لا بالأمانيِّ، وقال أبو البقاء: ﴿لَّيۡسَ﴾ مضمر فيها، ولم يتقدَّم له ذكر، وإنَّما دلَّ عليه سبب الآية، وذلك أنَّ اليهود والنَّصارى قالوا: نحن أصحاب الجنَّة، وقال المشركون: لا نبعث، فقال: ليس بأمانيِّكم، أي: ليس ما ادَّعيتموه بأمانيِّكم[1].

الفصل لشبه كمال الاتِّصال في قوله: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾:

بيانٌ للنَّفي المُجمل قبله

جملة: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ استئناف بيانيٌّ ناشئ عن جملة: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ﴾؛ لأنَّ السَّامع يتساءل عن بيان هذا النَّفي المجمل.

ولهذا الاستئناف موقع من البلاغة، وخصوصيَّة تفوت بغير هذا النَّظم الَّذي فسَّرناه، وجعل صاحب "الكشاف" الضَّمير المستتر عائدًا على وعد الله، أي: ليس وعد الله بأمانيِّكم؛ فتكون الجملة من تكملة الكلام السَّابق حالًا من وعد الله، وتكون جملة ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ استئنافًا ابتدائيًّا محضًا[2].

التَّعميم في قوله: ﴿سُوٓءٗا﴾:

الخطاب بذكر السُّوء يكون لأهله ممَّن اعتادوا على أفعاله

ردَّ الله تعالى على الفريقين بقوله: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾، ثُمَّ ابتدأ الخبر الصَّادق من قبله بقوله: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾، وجاء هذا اللَّفظ عامًّا في كلِّ سوء، فاندرج تحت عمومه الفريقان المذكوران، واختلف المتأوِّلون في تعميم لفظ هذا الخبر، ولكن على العموم؛ فقد أفاد شمول كلِّ من يعمل سوءًا، ولا يظنُّ أنَّ أحدًا معصومٌ عن عمل السُّوء إلَّا الأنبياء عليهم السلام.

دلالة العموم في الآية الكريمة: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾:

الكافر والمؤمن مجازَى بالسُّوء يعمله

قال الحسن بن أبي الحسن: هذه الآية في الكافر، وقرأ: ﴿يُجَزَىٰ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/75.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/208.

﴿إِلَّا ٱلۡكَفُورُ﴾[1] [سبأ: 17]، قال: والآية يعني بها: الكفَّار، ولا يعني بها: أهل الصَّلاة، وقال: والله ما جازى أحدًا بالخير والشَّرِّ إلَّا عذَّبه، ولكنَّه يغفر ذنوب المؤمنين، وقال ابن زيد: في قوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾: وعد الله المؤمنين أن يكفِّر عنهم سيِّئاتهم، ولم يَعد أولئك، يعني: المشركين، وقال الضَّحَّاك: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ يعني بذلك: اليهود والنّصارى والمجوس وكفَّار العرب[2].

وفي قوله: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ هذا تخصيصٌ للَّفظ في الآية، قال ابن عبَّاس وسعيد بن جبير: "قوله تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا﴾، معناه: من يكُ مشركًا"، والسُّوء هنا: الشِّرك، فهو تخصيص لعموم اللَّفظ من جهة أخرى؛ لأنَّ أولئك خصَّصوا لفظ ﴿مَن﴾، وهذان خصَّصا لفظ السُّوء، وقال الجمهور: لفظ الآية عامٌّ، والكافر والمؤمن مجازًى بالسُّوء يعمله، فأمّا مجازاة الكافر؛ فالنَّار، لأنّ كفره أوبقه، وأمَّا المؤمن؛ فبنكبات الدُّنيا، قال أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ: لمَّا نزلت: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾؛ قلت: يا رسول الله، ما أشدّ هذه الآية! فقال: يا أبا بكر، أما تحزن؟ أما تمرض؟ أما تصيبك اللَّأواء؟ فهذا بذلك، وقال عطاء بن أبي رباح: لمَّا نزلت هذه الآية؛ قال أبو بكر: جاءت قاصمة الظَّهر، فقال النَّبيُّ ﷺ: إنَّما هي المصيبات في الدُّنيا، وقالت بمثل هذا التّأويل عائشة[3] ﷺ.

المسائل المهمَّة تطلب زيادة تأكيد وتنبيه

فائدة زيادة التَّأكيد:

وقوله: ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾، فعموم العبارة وقعت في مقام زيادة تأكيد، لردِّ عقيدة من يتوهَّم أنّ أحدًا يغني عن

(1) ورواية حفص عن عاصم بالنُّون وكسر الزَّاي، ونصب الكفور هكذا: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ [سبأ: 17]، وأمَّا هذه، فبضمِّ الياء وفتح الزَّاي، مبنيًّا للمفعول، والكفورُ بالرَّفع، وهي قراءة متواترة، نُسبت إلى نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم وأبي جعفر، ينظر: ابن مجاهد، السَّبعة، ص: 529، وابن الجزري، النشر: 2/350.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/116.

(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/116.

عذاب الله[1]، وتقديم قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّـهِ﴾ زيادة تأكيد على أنَّ الولاية والنُّصرة يوم القيامة لا تكون إلَّا بالله، ومن الله سبحانه، وأنَّ ما تُعقد عليه الأمانيُّ عند أولئك الَّذين يُمنِّيهم الشَّيطان، ويعدهم، فإنَّما يعدهم الكذب والزُّور، قال تعالى حكايةً عن الشَّيطان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: 22].

التَّناسب في قوله: ﴿وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

قطع الأمل في النَّجاة

والوليُّ هو المولى، أي: المشارك في نسب القبيلة، والمراد به المدافع عن قريبه، والنَّصير الَّذي إذا استنجدته؛ نصرك، أو الحليف، وكان النَّصر في الجاهليَّة بأحد هذين النَّوعين[2]، وقد ناسب هنا ذكر الوليّ والنَّصير لهدف إفهام النّاس أن لا ناصر يومها ولا معين إلَّا الله سبحانه، فأفاد التَّناسب ما يخطر على البال في سُبُل النُّصرة والإعانة، فإنّها جميعها مُلغاة، إلَّا بإذن الله وبفضله سبحانه.

دلالة المجاز في قوله: ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾:

الجزاء من جنس العمل

قال: ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾، وهو يُجزى بالعقاب، وفيها مجازٌ بين السُّوء والعقاب، وهي علاقة السّببيَّة، وفائدته: بيان أنَّ الجزاء من جنس العمل، وأنَّه ليس ثمَّة بشر إلَّا وسيجزى بما قدّم من الخير خيرًا، ومن الشّرِّ شرًّا، وهذه قاعدة عامَّة شاملة تجري على النَّاس جميعًا، أو تكون على سبيل المشاكلة.

المُشاكلة في قوله: ﴿يُجْزَ بِهِۦ﴾:

العدل الإلهيُّ المُطلق المنسجم مع قوانين الحياة والنَّفس الإنسانيَّة

قال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، وهو في الحقيقة لا يُجزى بالسُّوء نفسه، وإنَّما يُجزى بما يستحقُّه، فمن يعمل السَّيِّئة؛ يُجزَ بها، ومن عمل الحسنة؛ يُجز بها، أي: يُجزَ بما يستحقُّ من السُّوء أو الحُسن على حسب أعماله، وفائدة فنِّ المشاكلة: هو بيان الجزاء العادل،

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/209.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/209.

فإنَّه يُجزى المُسيءُ بالسُّوء على السّيِّئة بالمقدار الَّذي يستحقُّه، فالسَّيِّئة من الكبائر يُجازى عليها عقابًا كبيرًا، والسّيِّئة من الصَّغائر يُحاسب على قدر ما فعله، وهكذا ضمن أسلوب المُشاكلة المقياس الدّقيق، لكلِّ عقوبة أو إثابة.

دلالة المضارع في قوله: ﴿يَجِدْ﴾:

الاستمرار والتَّجدُّد المُوحيان بالحَيرة وخيبة الأمل

صيغة المضارع في الفعل المنفيِّ في قوله: ﴿وَلَا يَجِدْ﴾ دلَّت على الاستمرار والتَّجدُّد اللَّذين يوحيان، ويصوِّران حالة البحث الدَّؤوب عن الوليِّ النّاصر، فقال: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، فلا يجدون من دون الله أحدًا وليًّا أو ناصرًا إلَّا الله[1].

دلالة قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

تنهار يوم القيامة جميع قوى المخلوقات

ولمَّا كان كلُّ أحد قاصرًا عن عظيم شأن الله وقدرته سبحانه؛ عبّر بقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي: الَّذي حاز جميع العظمة، ﴿وَلِيًّا﴾ أي: قريبًا، يفعل معه ما يفعل القريب من المدافعة عنه والنُّصرة والتَّأييد، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾، أي: ينصره في وقت طلب النُّصرة منه[2]، والتَّقديم للاهتمام؛ لبيان عظيم الموقف يوم القيامة، حيث تُنصب الموازين في موقف عظيم، فلا يجد المُسيء له وليًّا ولا نصيرًا.

سرُّ العدول عن: (أولياء وناصرين) إلى: ﴿وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾:

نفيُ الجنس نفيٌ لأفرادِه

يختصر إفراد الوليِّ والنَّاصر المشهد في كلمات: إذ إنَّهم لمَّا استدعوا الأولياء والنُّصراء، فلم يجدوا أحدًا؛ عُلم أن لا وليَّ ولا ناصر إلَّا الله، فمن أقرَّ قانون القبول والجزاء هو الوليُّ وحده، وهو النَّاصر وحده، فأفرد لفظ الوليِّ والنَّاصر استغراقًا لنفي جنسه قاطبةً.

بلاغة تذييل الآية الكريمة:

تأكيد المعنى

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ تذييلٌ

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 4/76.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/411.

قُصد به تأكيد ما قبله: من أنَّ ثواب الله لا يُنال إلَّا بالإيمان والعمل الصَّالح، وأنَّ عقابه سيحلُّ بمن يعمل السُّوء.

أي: إنَّ من يعمل السُّوء، سيجازى به، ولا يجد هذا المرتكب للسُّوء أحدًا سوى الله سبحانه يلي أمره، ويحامى عنه، ولا نصيرًا ينصره، ويحاول إنجاءه من عقاب الله تعالى[1].

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 3/321.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»